عنف الزوج ضد الزوجة بالمجتمع الجزائري: قراءة سوسيو ثقافية

بلحضري بلوفة

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، mr.wise21@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2017/07/01؛ تاريخ القبول: 2018/06/01

Abstract: In this paper, I will try to make you understand the view of the inferior status of the wife in Algerian society in the context of community violence which is practiced by the husband against the wife, and its impact on both her private life. As that of the husband's violence against the wife in its various forms, whether verbally, physically, emotionally, sexually, and so on, cannot be seen as a ritual of the Algerian man except that there is a background and factors devoted to a mental image linked to the historical relationship between the sexes. Therefore, we have to study in sociocultural violence against the wife of Algerian society to scold in its historical, social and cultural contexts with all the paradoxes and budgets, to know the nature of the relationship between husband and wife within the nuclear family and the extended family. All this is in the midst of the questions presented by the sociocultural representations of violence against the wife, its causes, types and sociological background.

Keywords: violence against the wife; structural relationships; socioculturalrepresentations; sociological background of violence

ISSN: 2170 -1822
EISSN: 2600-6189

الملخص: سأحاول من خلال هذه الورقة فهم النظرة التي تحلينا إلى قراءة الوضعية الدونية للزوجة بالمجتمع الجزائري في سياق العنف المجتمعي الذي يمارسهالزوج ضد الزوجة، ومدى أثر ذلك على طابع حياتها الخاصة. كما أن عنف الزوج ضد الزوجة بأشكاله المختلفة سواء أكان عنفا لفظيا، جسديا أو عاطفيا أو جنسيا وهلم جرا من أشكال العنف، فلا يفتأ أن يظهر كطقس من طقوس الرجل الجزائري إلاّ وهنالك خلفية وعوامل كرست لصورة ذهنية ارتبطت بالعلاقة التاريخية بين الجنسين معا. لذلك تضطرنا القراءة السوسيوثقافية للعنف ضد الزوجة بالمجتمع الجزائري للنبش في سياقاته التاريخية والاجتماعية والثقافية بكل ما تحتويه من مفارقات وموازنات، لمعرفة طبيعة العلاقة بين الزوج والزوجة في كنف الأسرة النووية والعائلة الممتدة. كل ذلك في خضم الإشكاليات المطروحة التي تبحث عن التمثلاتالسوسيوثقافية للعنف ضد الزوجة، أسبابه وأنواعه وخلفيته السوسيولوجية.

الكلمات المفتاحية: العنف ضد الزوجة؛ العلاقات البنيوية؛ التمثلاتالسوسيوثقافية؛ الخلفية السوسيولوجية للعنف؛ البنية الذهنية.

مقدمة:

تضطرنا القراءة السوسيولوجيةلعنف الزوج ضد الزوجة بالمجتمع الجزائري، للرجوع إلى السياق التاريخي والنبش في أغوار سياقاته الاجتماعية والثقافية بكل ماتحتويه من مفارقات وموازنات حول طبيعة

العلاقة بين الزوج والزوجة في كنف الأسرة النووية والعائلة الممتدة.بالمقابل، يبدو بأن طبيعة التنشئة الاجتماعية بالفضاء العائلي والأسري للمجتمع الجزائري قد رُسمتمحدداتها مسبقا، كما رُسمت بمعيتها صورة ذهنية قد منحت لمتغير الجنس فارقا حاسما لتبني الأدوار بين الرجل والمرأة امتدت إلى ما بعد مرحلة زواج الشاب والشابة، فالزوج يجب عليه أن يظهر في هالة القوامة والحماية والقيادة والسطوةإلى جانب تحصيل لقمة العيش وتحمل أعباء الإنفاق على رعيته، فيما يجب على الزوجة أن تظهر تارة في هالة المقدس، الاحتشام والوقار والحرمة والخضوع،وتارة أخرىفي صورة عضو لا ينبغي عليه إلاّ السهر والقيام بشؤون فضائه الداخلي مثل الطهي والإنجاب ورعاية الأولاد وما إلى ذلك من الأدوار والوظائف،ليتحدد دورها ويختزل لدى بعض الذهنيات الذكورية في جسد ليس له إلاّ وظيفةتلبية رغبات الزوج وشهواتهالجنسية، ومن ثمّ لايحق لهذا الجسد الاعتراض على القهر الممارس ضده، وإلاّ اعتبر ذلك تمردا على الزوج وتخط لعرف العائلة والمجتمع.

إن موضوع تحليل ظاهرة عنف الزوج ضد الزوجة في المجتمع الجزائري يتطلب فهما سوسيولوجيايرجعنا إلى حيثياتالنظرية البنائية الوظيفية. وإذا ما أخذنا بالحسبان ظاهرة العنف الممارس ضد الزوجة إسقاطا على هذه النظرية سواء في كنف الأسرة الممتدة أو النووية أو المجتمع الجزائري ككل، فلا مناص من الإشارة إلى وجود خلل وظيفي في البناء الأسري الذي ترجع أسبابهإلى اضطرابات فيالعلاقات البنيوية داخل هذا النظام المصغر، هذا ما إذا أخذنا بالاعتبار دور المرأة بشكل

ISSN: 2170 -1822
EISSN: 2600-6189

عام والزوجة بشكل خاص،كعنصر بنيوي ووظيفي مهم في الأسرة ومؤسسات المجتمع.

سأحاول من خلال هذه الورقة فهم النظرة التي تحلينا إلى قراءة وضعية الزوجة الجزائريةفي سياق العنف الأسري والمجتمعي الذي يشارك فيه الزوج ضد الزوجة، ومدى أثر ذلك على حياتها الخاصة والعامة على السواء.كما أن العنف ضد الزوجة بأشكاله المختلفة سواء أكان عنفا لفظيا، جسديا أو عاطفيا أو جنسياوهلم جرا من أشكال العنف، فلا يفتأأن يظهر كطقس من طقوس الرجل الجزائريإلاّ وكانت هنالك خلفية وعوامل كرست لصورة ذهنية ارتبطت بالعلاقة التاريخية بين الجنسين معا.

لا يختلف اثنان حول عالمية ظاهرة العنف ضد المرأة عموما وشيوع ظاهرة عنف الأزواج ضد زوجاتهم، هذه الظاهرة التي لا تحدها جغرافية حتى تنحصر بمجتمع دون غيره، ولا تحدها فوارق الغنى والفقر أو التقدم والتخلف أو العلم والجهل على مستوى الفرد أوالمجتمع على السواء، تبدو هذه الظاهرة مقلقة لا سيما مع الكبت القهري الذي تعانيه الزوجة الجزائرية كجزء لا يتجزأ من سلوك التعنيف الذي تتحمله في إطار الحفاظ على أسرار البيت والعائلة، وكجزء لا يتجزأعن نمط تنشئتها الاجتماعية التي غذتها وأقنعتها بسلوك مترسخ في ثقافة وذهنية الفرد – الرجل – الجزائري، إلى درجة عدم اعتبارها ممارسة العنف اللفظي أو الجسدي ضدها سلوكا عنيفا في حقها أحيانا.

وإذا ما أمعنا النظر في الأرقام والإحصائيات التي يتم رصدها بناء على ما تقدمه خلايا أجهزة الشرطة والهيئات الرسمية للدولة الجزائرية على خلفية الشكاوى المودعة من طرف الزوجات المعنفات، فإن هذه التصاريح لا تنم فعلا عن حقيقة النسب المسجلة(أنظر التعليق رقم 1)،ذلك لأن الكثير من المعنفات لا يقمن بالتبليغ عما تعرضن له من تعنيف من قبل أزواجهن، وتفضل الكثيرات من الزوجاتإما التكتم أو تبليغ شكاويهن شفاهيا ووديا إلى أئمة المساجد أوشيوخ الزوايا أوذوي الجاه بالمجتمع، الذين يستقبلون بدورهم حالات مستعصية وغير مدونة في سجلات الهيئات الرسمية.

1- التمثلات الاجتماعية والعنف السوسيوثقافي:

في قراءة تاريخية متأنية لمصطلح التمثلات الاجتماعية،تدعونا المادةالعلمية المنجزة للبحث في هذا الموضوع إلى تشخيص العلاقة التي ترتبط برواسب الأفكار والمعارف وما ينتجه المجتمع من ممارسات في عملية تراكمية تظهرتأثيرها على البنية الذهنية للفرد والمجتمع.وإن ذلك يدعونامرة أخرى لتأكيد الوصف الذي يحدد فيه إميل دوركايمعوامل تشكل هذهالتمثلاتالتيلن تكون إلاّ بفعل التفكير الجمعي والتراكمات القيمية والمعيارية المنتجة من طرف المجتمع، وإن العنف المسلطمن طرف الزوج ضدزوجته، ما إلاّ هو ظاهرة ملازمة لكل حياة اجتماعية تحتل أفقها وتغلفها من كل ناحية (ريمون بودون، 1986: 395)، فليست علاقة الزوج بالزوجة علاقة دائمة التفاهم والتعاون، وإنما هي أيضا علاقة يحذوها الصراع.

إن الدراسات الأمبريقيةللأسرة، لم تبدأ إلا مع ارنيستبورجسبمدرسة شيكاغو التفاعلية، وليفي ستروس الذي دشّن لتطبيقات البنيوية على الأنظمة القرابية في المجتمعات القديمة(MICHEL Andrée, 1986 : 7)كما أنها لم تكن آخر الاعمال مع تالكوتبارسونز، وسميثالتي أسست بدورها لنظرية حديثة عن الأسرة (MICHEL Andrée, 1986 : 8).

إن تمثلاتعنف(أنظر التعليق رقم 2)الزوج ضد الزوجة، إنما هي ذات صلة بمجموعة من القيم والتراكمات التي يتم يتوارثهاكلا الجنسينخلال مرحلة تنشئتهما الاجتماعية، إما عن طريق التلقين أو عن طريق التعلم أو التقمص والنقل وما إلى ذلك من الأشكال التي تعمل على توريث رأسِمَال ثقافة المجتمع.فالطفل مثلا حينما يرى والده يمارس عنفا لفظيا أو جسديا على والدته، فلا مناص من أن يتقمص ويقلد دور الوالد في مرحل عمره المتقدمة، ولا مناص أيضا من أن يعيد إنتاج ما اختزنته ذاكرته وما طبع في وجدانهمن سلوك عنيف ليعيد ممارسته وهو شاب أو رب أسرة.كذلكم العنف ضد الزوجة، فهوليس سلوكا وقفا على زمننا الراهن، ولا آخر الأزمنة التي ستشهد فيها الزوجات سطوة الذكورية وتعنيفها اللفظيوالجسديلها، فعنف الزوج ضد الزوجة يحمل في جناباتهامتداداتوخلفيات تاريخية وسوسيوثقافية قابعة بين ظهراني الوجود الاجتماعي تم توارثها اجتماعيا،إلى أن أضحى – العنف – ثقافةوعرفا محليا، ومن هنا يمكن القول بأن العنف ضد الزوجة، إنما هو محصلة عملية تنشئةٍ اجتماعيةيتغذى على إثرها الأفراد في المجتمع الواحد على المعايير التي يلجئون إليها في التعامل لاسيّما أن هذه المعايير هي

قواعد غير مكتوبة تحدد السلوك المقبول من غير المقبول (زين الدين مصمودي، 2003: 44).

فعلا، إن التمثلاتهي من يهندس للبنية الذهنية والسلوك الجمعي ويجعلهاتتميز بوضعية اجتماعية يصعب اختراق طقوسها ونواميسها المتعارف حولها إلى درجة التقديسأوإلى درجة إضفاء الشرعية عليها، حتى ولو تعلق الأمربسلوك منبوذ قيميا وأخلاقيا كما هو حال عنف الزوج ضد زوجته بالمجتمع الجزائري.هذا التعنيف يعد ترجمة لميل جمعي أقنع الفتاة وهي في كنف الأسرة النووية أو الممتدة بقبول دور ضحية السلوك المعنِّف من جهة، وأن فضائها العشائري والعائلي يكون قد أقنعها في إطار التقسيم الاجتماعي التقليديللأدوار بلعب دورالأداة في النسل ورعاية الأطفال والطهي وهلم جرا من الوظائف الروتينية تحت إكراه اجتماعي من جهة أخرى.

وتدفعنا جزئية العنف السوسيوثقافيبالمجتمع الجزائري إلى الحديث عن هيمنة الثقافة الذكورية الممارسة ضد الزوجة، هذه الهيمنة التي تظهر في أشكال القيودالتي تحدد للزوجة أدوارها ووظائفها ليس وفق ما شرع الإسلام، وإنما بما يمليه العرف حتى ولو كان منافيا للنصوص الشرعية الإسلامية. لذلك، إن بعضا من ضوابط العرف بالمجتمع الجزائري، تكرس لمنظور تحديد الحقوق والواجبات بمايمنع الزوجة أحيانا من ممارسة حق إبداء الرأي في قرارات الأسرة، حق العمل وحق مواصلة التعليم، حق زيارة الأهلوالأصدقاء...ألخ.

ومن الخطأ أن ينحصر تصورنا في الصورة النمطية المسوقة حول العنف ضد المرأة في مشهد تتمظهر تفاصيله بالمشهد الاجتماعي فحسب، وإنما ضلوع وسائل الإعلام بما في ذلك القنوات التلفزيونية، المواقع الإلكترونية والمجلاّت والجرائد وهي تختزلالمرأة كأداة لتسويق آخر صيحات الموضة، الأزياء والعطور ومواد التزين والتبرجوعرض الملابس الداخلية وحفاظات الدورة الشهرية والمنتجات المعروضة للاستهلاك اليومي على اختلافها، بل ويتعدى الأمر إلى إظهار مفاتن وجسد الأنثى في وضعيات مثيرة أقل ما يقال عنها أنها انتزعت منها إنسانياتها. وبهذا استغلت هذه الوسائط جسد المرأة ومفاتنها في الإثارة الجنسية حسب معادلة العرض والطلب في السوق التجاري الذي هو سوق ذكوري بالدرجة الأولى(إبراهيم الحيدري، 2003: 13).

2- أسباب العنف الممارس ضد الزوجة:

2- 1- الأسباب الذاتية والفردية:

* قابلية الزوجة للتعنيف بحكم خصائصها الفيزيائية وضعف بنيتها الجسمية.

* استعداد الزوجةلتقبل السلوك المعنِّفبحكم تنشئتها الاجتماعية.

* إرضاء الزوجة للمحيط الأسري– الزوج، الحماة - على حساب حقوقها الخاصة.

*تخوف الزوجة وتجنبها إيداع شكوى لدى المصالح المختصةتجنبا للسخط الاجتماعي.

* عدم ثقة الزوجة بنفسها وتكوينها لصورة سلبية نحو ذاتها.

* عدم امتثال الزوجة لمتطلبات الزوج ورفض الخضوع لهيعرضهاللتعنيف.

* عدم التزام الزوجة بالدور المنوط لها أسرياقد يعرضها للتعنيف.

*تمرد الزوجة على قوانين أسرة أو عائلةالزوج يجعلها عرضة للتعنيف.

2- 2- الأسباب الاجتماعية:

* طبيعة مكانة الزوجة ضمن المنظومة الذهنية الذكورية.

* نمط التنشئة الاجتماعية الذي يخول للزوج أحقية السيطرة والتحكم داخل الأسرة.

* نمطتفكير الرجل الذي يهيمن عليه طابع السلطة الأبوية.

* عدم قدرة الزوج سد حاجياتأسرته،يؤدي بشكل مباشرأوغير مباشر إلى نشوب صراعات تترجم عادة إلى عنف موجه ضد زوجته.

وما يضاف إلى العوامل السالفة الذكر، تلكم العوامل المرتبطة بعملية الضبط الاجتماعي، والتي يمكن حصرها في عدم قدرة مسايرة التشريعات لمراحل التغير الاجتماعي والثقافيبالمجتمع الجزائري مع

ISSN: 2170 -1822
EISSN: 2600-6189

التساهل أحيانا في ممارسة تطبيق قانون العقوبات على الزوجالمعنف بشكل يعطي نموذجا لقانون قادر على ضمان إنسانية الزوجة وحفظ حقوقها.

3-أنواع سلوكالعنف الموجه ضد الزوجة:

يتخذ سلوك العنف الموجه ضد الزوجة في المجتمع الجزائري أنواعا وصفات شتى، ولكن مهما كان شكل هذا العنف، فلا ينفكأن يتسبب في آثار وخيمة وسلبيةعلى جوانبها النفسانية والجسمانية. ومن أبرز أنواع وأشكال هذا العنف ما يلي:

3-1- العنف اللفظي:

يظهر العنف اللفظي الممارس من طرف الزوج ضد الزوجة في أشكال متعددة نذكر أهمها:

- مواجهة الزوجةبالكلام الفاحش والبذيء.
- السب والشتم.
- توجيه نظرات الاحتقار والازدراء للزوجة.
- إهانة كرامة الزوجة.
- توجيه اللوم بشكل هجوميمباشر ومستمر.
- الصراخ الدائم في وجه الزوجة بسبب أو بغير سبب.
- النقدالدائم والغير مبرر.

ISSN: 2170 -1822
EISSN: 2600-6189

- قذف الزوجة في شرفها.
- قذف الزوجة في نسبها.
- التهديد بالطلاق.
- عدم مشاركة الزوجزوجته الطعام الذي تقوم بإعداده.
- عدم الاكتراث باهتمامات الزوجة.
-عدم الاعتناء بالزوجة وتقديم المساعدة لها أثناء مرضها.
- التهكم بالزوجة والسخرية منها.
- عدم مشاركة الزوج زوجتهالحوار أو الجلوس أوالمضجع.
- التشكيك في قدرات الزوجة.
- المضايقة والتجريح.
- إثارة الشائعات حول الزوجة.
-التهجم بالكلام الفظ والقاسي والغليظ على الزوجة.
- التهجم واستخدام الكلام الجارح.
- الصراخ الدائم على الزوجة.
- تضييق الخناق على الزوجةبعلة وجيهة أوبغير علة مقنعة.

ISSN: 2170 -1822
EISSN: 2600-6189

- فرض العقوبات على الزوجةدون مراعاة لأحاسيسها ومشاعرها.

- منع الزوجة من التعبير عن مكنوناتها النفسية.

- التواصل مع الزوجةبالإيماءات كما لو أنها صماء.

إن مثل هذا النوع من العنف، ليعد من أخطر أنواع العنف على الإطلاق،لا لشيء، إلاّ لأنه عنف له وقعه وأثره البليغ والمدمر على الصحة النفسية وما يتبعه من تأثيرات معنوية وجسدية على الزوجة.

3-2- العنف الجسدي:

إن العنف الجسدي لا يقل ضررا عن العنف النفسي، ذلك لأنه عنف تستخدم فيه القوة البدنية والأطر الوحشية التي لا تليق بمقام الإنسان كالضرب، الركل والدفع واللطم والبصق والخنق أو الضرب بالعصا أو السياط عند بعض الأزواج.

لا شك أن العنف الجسدي الممارس على الزوجة، يمكن أن تترتب عنه آثار جسيمة ووخيمة، فيمكن للزوج المعنِف أن يشوه وجه زوجته وجسدها أو يؤدي إلى بتر أحد أعضائها مما يؤول إلى الإخلال بطبيعة وظائف أعضائها وتكامل جسدها.

3-3- العنف الجنسي:

وهو ما يعرف بالعنف الزوجي، أي ممارسة الزوج عنفا جنسياضد زوجته،هذا النوع من العنف يمكن أن تترتب عنه كافة أشكال الإيذاء

ISSN: 2170 -1822
EISSN: 2600-6189

الجسدي، النفسي والمعنوي والحرمان،مما يعني مصادرة حق الزوجة في المساواة مع زوجها وإلزامها بمركز التبعية ضمن نسق العلاقات الزوجية(أمل سالم العواودة، 2009: 30)، ويندرج تحت إطار هذا النوع من العنف انتهاك الزوج لمشاعر الزوجة وحقوقها، إذ يقوم الزوج بتسليط سطوته وقوته لممارسة الجنس مع زوجته دون أدنى تقدير لوضعها النفسي أو الصحي أو رغبتها في ممارسة الجنس، أو إرغام الزوجة على ممارسة الجنس في وضعيات جنسية لا ترغب بها.

إن هذا النوع من العنف أشبه ما يكون بالعنف الجسدي وأشبه ما يكون بالاغتصاب الذي يكتفي فيه الزوج بتحقيق نزوته ورغبته فقط دونما وصول الزوجة إلى إشباع رغبتها، ويدخل هذا السلوك في نطاق تعنيف الزوجة وقمع حاجاتها الجنسيةوإجبارها على ممارسات جنسية لا تحترم خصوصياتها، وهو ما يؤثر سلبا على حالتها النفسية ويؤثر على أدوارها داخل البيت.لذلك فإن إحباط الزوجة وعدم حصولها على الإشباع الجنسي في الحياة الزوجية يمكن أن يولد لديها ضغوطا نفسية تعمل على إحساسها بالعجز والوصول بها إلى الاحتراق النفسي(جاجان جمعة الخالدي ورشيد أحمد البرواري، 2013: 103)، مع العلم أن الكثير من الزوجاتالمعنفات جنسيا لا يقمن بالإبلاغ عن العنف الجنسي الذي تعرضن له، وخاصة في المجتمعات التقليدية حيث الأبوية والمرأة تمثل شرف العائلة، وحيث ينظر إلى العنف الجنسي ضد المرأة باعتباره إهانة للأقارب(DjaziaSafta, 2014).

4- الخلفية السوسيوثقافية للعنف ضد الزوجةبالمجتمع الجزائري:

يحيلنا البحث عن الخلفية السوسيولوجية للعنف ضد الزوجة في المجتمع الجزائري إلى النبش في أغوار تركيبة المجتمع الذهنية وعمقها التاريخي والثقافي، كما أن الحديث عن المكانة التي تحتلها الزوجةبالمجتمع الجزائري، تكون قد عرفت إبهاما لا يمكن على إثره وصف المجتمع الجزائري لا بالتقليدي ولا بالحديث. ذلك لأنه لم يحتفظ بهيمنة السلطة الأبيسية(الأبوية).ولم يلبس لبوس الحداثة التي يفرضهاالانفتاح.

فعلا إن تاريخ المجتمع الجزائري المفعم بالاهتزازات الاستعمارية، جعل المجتمع الجزائري يعيش في كنف تناقضات تُظهر مدى قوة الارتدادات التي أثرت على التوازنات الاجتماعية إلى مرحلة ما بعد الاستقلال. فما التنوع في البناء الثقافي والاجتماعي الجزائري بما يحمله من مدلولات قيمية ومعيارية إلا مشهد وصورة من صور فعل تلك الارتدادات.

وإذا نظرنا إلى حال ووضعية الزوجةبالمجتمع الجزائري عبر المسارات التاريخية إلى وقتنا الراهن، فلا ينفك إلاّ أن يكون امتدادا إلى جذورالنظام التقليدي الأبوي الذي يهمن عليه ضمير خضوع الصغير للكبير والزوجة للزوجوهلم جرا من التراتبات التفاضلية في سلم القيم الاجتماعية، كما أن النظام التقليدي قد شكل إطارا مرجعيا مغذيا للكثير من الممارسات التي منيت بها الزوجةبالمجتمع الجزائري إلى يومنا هذا، بحيث تم توارث ممارسات سوسيوثقافية وتمت إعادة إنتاجها اجتماعيا. وبمعنى آخر، فإن طبيعة التركيبة الاجتماعية والذهنية والنفسية للبربر الذين يعدون السكان الأصليين للجزائر إلى جانب تعاقب

الحضارات وتداول أشكال صنوان وغير صنوان من الاستعمار على الجزائر، كانت كلها بمثابة المحطات التي هيأت لممارسة السلطة الأبوية، التي تخول لصاحب السلطة في الدولة والأسرة أن يكون ذكرا (السعداوي منال، 1984: 544) والذي يجب عليه ممارسة العنف أحيانا ليؤكد قوته وسلطته بما ينفذ إستراتيجيتها وتخدم وجودها كقوة(ريمون بودون، بوريكور، 1986: 396) للمحافظة على النظام واستقراره سواء داخل الأسرة أو المجتمع.

ومنملامح مكانة الزوجة بالمجتمع التقليدي الجزائري، أنه يمنع عليها الاحتكاك والاختلاط بعالم الرجال(مسعود كسال، 1996: 15)، فلايحق لها أن تلتقي بزوجها إلاّ في المبيت، ولا يليق لها أن تقابل حماها أو تجالس وتشارك زوجهاأوأبناءها مائدة الطعام في حضرته. وعليه فإن المخيال الأبوي إنما نتج عن نسب أبوي صاعد إلى نسب بربري ساهمت في هيكلته الظروف الحضارية والاستعمارية أيضا، وإنما نتج أيضا عن النظام الاجتماعي الذي يسير حياتنا الاجتماعيةمنذ القدم،وهو "النظام الاجتماعي التقليدي،" فالفرد ذائب في الشبكات العلاقاتية، وعاجز عن الانفصال عن الجماعة(أنظر التعليق رقم 3) كما نتج عن الفهم الخاطئ لمعاني قوامة الرجل والفهم الخاطئ للنصوص الدينية.

ومع ذلك فإن الذاكرة التاريخية تحتفظ بسيرة شأن وشأو الزوجة في أدوارها داخل البيت وأدوارها خارج فضائها الداخلي وأدوارها في تقاسم الأعباء مع زوجها، وهنا نستأنس بقول البشير الإبراهيمي في شأن مشاركة الزوجة زوجها– وإن كان يشير إلى الرجل والمرأة مطلقا – في

خضم المعترك الحياتي ودورها في بناء الرجل والمجتمع حين يقول: أن المجتمع كالطائر لا يطير إلا بجناحين وجناحاه هما الرجل والمرأة(البشير الإبراهيمي، بت: 339)،ومن أقوال الشعراء:

وإذا النساء نشأن في أمية رضع الرجال جهالة وخمولا

ومع ذلك يقتضي الحال التمييز بين عالمين مؤتلفين ومختلفين يمارس فيه كل جنس خصوصيات أدوار جنسه، على أن لا يتجاوز أحد الجنسين عالمه الخاص به، فليس للزوجملازمة البيت محشورا بين النساء وهن منهمكات في أعبائهن. كما على الزوجةالالتزام والاتصاف بالوقار والحياء والاحتشام وغض الطرف.أما الزوجة الوفية، فهي من تخدم زوجها كما كان دأبها وهي في كنف عائلتها الأبوية وهي تمتثل لإرادة أبيها وسلطته، لتبيّن أن رجولة هذا الأخير فوق كل اعتبار(عدي هواري، 1983: 69).

إن الأزمنة الغابرة قد شكلت مرجعا ثقافيا ساهم بشكل أو بآخر في إعادة إنتاج ذهنية رجل يحمل في وجدانه حمولة مخاضات تاريخية أقنعته بمسلمة اقتضت هيمنة الرجل ببعض المجتمعات على أن تكون المرأة مثل الأرض، رمز للخصب ... تعطي أكثر بكثير مما تأخذ(بركات حليم، 1981: 57)، ذلك أن الهيمنة الذكورية خاصية كونية متجذرة في لاوعي الأفراد سواء أكانوا ذكورا أو إناثا. ورغم أنها تعلن عن نفسها كمعطى طبيعي فهي تبقى في الأصل بناءً اجتماعياوتاريخياوثقافيا تنتجه وتعيد إنتاجه مجموعة من المؤسسات الاجتماعية مثلما أشار إليه بيار بورديو عند دراسته للمجتمع القبائلي بالجزائر (بياربورديو، 2009: 18). وهذا

يحيلنا إلى القول بأن النظام الأبوي المطنبة جذوره إلى الأزمنة الغابرة، ما هو إلاّ تعبير عن جماعة من الرجال يتبادلون النساء لإعادة إنتاج أنفسهم و نقل أسمائهم و جيهانهم إلى الخَلَف الذين بهم يضمنون استمرار ذاكرتهم (عدي الهواري، 1983: 51) وبالتالي فهو واقع تاريخي واجتماعي يضع الفرد خلال تنشئته الأسرية والاجتماعية في خط نسب متشبع بالأبوية له خصائصه البنيوية السيكولوجية والسلوكية والقيمية والثقافيةالتي مرت بمراحل وأصقلت بتجارب تكوينية حددتها شروط نوعية، جغرافية و مناخية وديموغرافية (شرابي هشام، 1987: 28).

إن شدة حرص الزوج بالمجتمع الجزائري على عفة وكرامة زوجته قد أفضى إلى علاقة عكسية تحول فيها الحرص الشديد إلى نوع من العنف، ويكأن بهذا العنف ما هو إلاّ تعبير عن رباط وحب أكثر مما هو مرض أو خلل في سجية الرجل، فالأزواج الذين يقدمون على تقييد حرية زوجاتهم وبناتهم، تؤطر ذواتهم غيرة على شرف العائلة، وبالتالي فإن هذا العنف ما هو إلاّ صورة من صور الذوذ عن الذكورية وحفظ وصون لعفة وشرف الزوجة والعائلة. وما يدعم هذا التوجه ويؤكده هو رضى الزوجةواقتناعها ومساهمتها أيضا في إعادة إنتاج رأسمال المجتمع في ظل نمط من العلاقات امتزج فيها الحرص بالعنف، ومن أمثلة ذلك أيضا دعوة الأم ابنتها لتحمل عنف زوجها، بل ونجد أيضا أن الحماة تمارس بدورها عنفا على زوجة ابنها وهي تضع لها رزنامة من الشروط قبيل استجلابها.وهذا يحيلنا إلى استخلاص نتيجة مفادها أن تقبل الزوجة للعنف يدفعها إلى إعادة إنتاج وممارسة العنف.

إن المتأمل في خصوصيات المجتمع الجزائري وبنيه الذهنية يستطيع أن يقف على ذلك الاختلاف الثقافي الذي يميز العائلة الممتدة عن الأسرة النووية، وعليه، فإننا نجد بأن الزوجةفي كنف الأسرة النووية تتمتع بحرية – إن لم نقل مطلقة – من طرف زوجها، بل ومن طرف أبنائها الذكور، حيث يمكنها الخروج للعمل، السفر بمفردها (أنظر التعليق رقم 4)مزاولة دراستها، حيث أضحت هذه الحرية سلوكا وعرفا مقبولا لا تعتريه أية ريبة اجتماعيا. ولكن هذا الحراك كان له الأثر البليغ على توزيع الأدوار داخل الأسرة مما أخل بنظامها ووظيفتها، لا سيما في ظل تعالي أصوات حقوقية تنادي بضرورة تكليف الزوجبرعاية الأطفال بالفضاء الداخلي.

خاتمة:

من خلال قراءتنا لأغوار السياقات الاجتماعية والثقافية حول خلفية عنف الزوج ضد الزوجة وطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة بالمجتمع الجزائري.فإن لسان حال الواقع يدلي بوجود ثنائية تحيل أولاها إلى قابلية تحمل الزوجة وخضوعها إلى متطلبات ونواميس الرواسب الثقافية والاجتماعية المطنبة في عمق ذهنية ووجدان الرجل الجزائري في كنف مجتمع تقليدي. بينما يحلينا ثانيها إلى وجود حراك وهو يعترى عروة المنظومة الأسرية وهي تنسلخ عن منظومة العائلة الممتدة إلى الأسرة النووية، مما يعني التحول من الأسرة الأبيسية إلى الأسرة الأميسية كشكل من أشكال الحداثةإن لم يكن شكلا من أشكال متطلبات العصر بطابعه التمردي عن الإطار التقليدي، إلاّ أن هذه الازدواجية يمكن أن تتخذ أشكالا صنوان وغير صنوان لدى الأسرة الجزائرية، وبالتالي سيختلف

وضع الزوجات من واحدة لأخرى بحسب درجة استقلاليتها أو اعتماديتها على الزوجككفيل وحيد على نفقات البيت أو بحسب مستواها ومؤهلها التعليميأو بحسب الفضاء الأسري المنتمية إليه كالعائلة الممتدة مثلا. وفي كل الأحوال فإن الواقع الاجتماعي للمرأة كزوجة قد أثبت تعرضها لشتى أشكال العنف سواء كانت بأسرة ممتدة أو نووية مستقلة اقتصاديا كانت، أم ذات مستوى ومؤهل تعليميراق. ذلك لأن الإشكال غير قائم على طرف النظام التقليدي المهيمن عليه الطابع الأبوي، وإنما يكمن في طريقة التعاطي مع مفاهيم وتمثلاتالأنوثة والذكورة القابعة في لا وعي الجنسين، ولئلا ترتسم أدوارهما مرة أخرى بنفس الطريقة التي تظهرها وكأنها حتمية طبيعية مبنية على الفروقات البيولوجية والفيزيائية، فإن استئصال فكرة الزوجةالمهيمَن عليها من طرف الزوج، لن يكون إلاّ بعقل هادئ وفكر متزن يرجعنا بشكل سلس إلى الضوابط الشرعية التي أصلت وفصّلت لنموذج العلاقة بين الجنسين ووازنت القوى الرمزية بينهما وأعادت بوصلة العلاقة بين الجنسين إلى اتجاهها الصحيح. قال الحق تعالى:« وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ».

التعليقات:

(التعليق رقم 1) وهي عقبة من بين العقبات التي واجهتنااللظفر بإحصائيات دقيقةلقياس ظاهرة العنف ضد الزوجة الجزائرية قياسا صحيحا، لتحلينا إلى قراءةمقارباتيةللموضوع، دفعتنا للبحث في دوافعهوأنواعه وتمثلاته الاجتماعية.

(التعليق رقم 2) جسدي ، نفسي ، جنسي ، اقتصادي...الخ.

(التعليق رقم 3) سليمان مظهر،من يعتقد أن الإستعمار سبب تخلفنا فهو مخطئ، حوارلـ «الجزائر نيوز»، حاورته زهور شنوف بتاريخ 2013-01-06.

(التعليق رقم 4) حتى وإن اخترقذلك وتنافىمع المرجعية الدينية والتاريخية للمجتمع الجزائري التيتستوجب السفربمحرم.

قائمة المراجع:

ـ أمل سالم العواودة، (2009). **العنف ضد المرأة العاملة في القطاع الصحي**،عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

ـ إبراهيم الحيدري، (2003). **النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب**،ط1.بيروت: دار الساقي.

ـالبشير الإبراهيمي، (ب ت).**عيون البصائر**، الجزء الرابع.

ـبركات حليم،(1981). "النظام الاجتماعي وعلاقته بمشكلة المرأة العربية".**المستقبل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية،(العدد 34).

ـبياربورديو،(2009). **الهيمنة الذكورية**، تر، سلمان قعفراني، ط 1،لبنان:مركز دراسات الوحدة العربية.

ـجاجان جمعة الخالدي ورشيد أحمد البرواري، (2013).**الاحتراق النفسي لدىالمرأة**، ط1. الأردن: دار جريرللنشر والتوزيع.

ـ زين الدين مصمودي، (2003).**مدخل نقدي لتفسير ظاهرة العنف من خلالالتنشئة الاجتماعية بين تبريرات الواقع والأنموذجالمعياري فيالعنف والمجتمع**،الجزائر: دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع.

ـعدي الهواري، (1983).**الاستعمار الفرنسي سياسة التفكيك الاقتصاديوالاجتماعي 1830-1960**، تر،جوزف عبد الله، بيروت: دار الحداثة.

ـمسعود كسال،(1996).**مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري**، الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية.

ـريمون بودون، فرانسوابوريكو، (1996).**المعجم النقدي لعلم الاجتماع**، تر، سليم حداد، الجزائر: ديوان المطبوعاتالجامعية.

- شرابي هشام،(1987). **البنية البطركية،بحث في المجتمع العربي المعاصر،** بيروت: دار الطليعة.

-MICHEL Andrée, (1986). **Sociologie de la famille et du mariage,** 3éme édition, Paris : P.U.F.

-DjaziaSafta,(26-11-2014 10 :00).**Violence contre les femmes : des chiffres qui frappent**, le site web,http://www.liberte-algerie.com/actualite/violence-contre-les-femmes-des-chiffres-qui-frappent-214881. consulté le 30-06-2017 a 21 :17.